فكاهات

الكولونيل جيرار[1]

— ١٢ —

اخبرتكم في حديث سابق ان المارشال ماسينا استدعاني اليهِ فلما بلغتني دعوتهُ توجهت الى معسكرهِ مسروراً لانهُ كان يحبني ويجلني اكثر من بقية الضباط • فوجدتهُ جالساً في خيمتهِ وقد أسند رأسهُ بيدهِ وعلى جبهتهِ غضون تدل على انهُ في اهتمامٍ عظيم • ولكنني ما صرت امامهُ حتى سُرّي عنهُ ونظر اليَّ متبسماً وسبقني في التحية ثم سألني عن فرقتي فقلت ان رجالي وجيادهم لا مثيل لهم في كل الجيش • قال وجراحك قلت انهـا لا تبرأ ابداً • قال ولمَ ذاك قلت لانهُ كلما برأ جرحٌ اصابني غيرهُ • قال انك لتباري الجنرال راب في شهرتهِ فانهُ اصيب باحدى وعشرين رصاصة من الاعدآء ونظيرها من خناجر قطاع الطريق وقد علمت انك متألم مما أصابك فلم استدعِك قبل الآن • قلت وهذا قد آلمني اكثر من الكل • فتبسم ثانيةً ثم قال لا يخفى عليك انهُ بعد بلوغ الانكليز تورس ڤدراس لم يبقَ علينا عملٌ خطير نقوم بهِ فلذلك لم يَفُتْك ما يستحق الذكر من الاعمال المهمة اثنآء اعتقالك في سجن دارتمور واما الآن فقد حان وقت العمل • قلت وهل في نيتكم الهجوم غداً • قال كلا بل التقهقر • فلما سمعت هذه الكلمة طار رشدي فانني كنت لا أزال حاقداً على ولنتون لانهُ لم يسمع توسلاتي حين طلبت منهُ اخلآء سبيلي ولم يجبني الا بارسالي الى سجن بلادهِ فلم يهن عليَّ ان اسمع كلمة التقهقر امامهُ • وادرك ماسينا ما يجول في خاطري فقال لا يسوءك الامر يا جيرار فاننـا

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

محاطون بالاعدآء من جميع الجهات ولا بدَّ لنا من تغيير مركزنا بالانتقال • فقلت ولمَ لا يكون انتقالنا بالهجوم الى الامام • فهزّ رأسهُ وقال يصعب علينا خرق صفوف الاعدآء ولا سيما بعد ان فقدت الجنرال سنت كروا وغيرهُ من الرجال الذين لا اجد من أستعيضهُ عنهم وفوق ذلك فقد صار لنا ستة أشهر في سانتاريم ولم يعد يوجد في هذه النواحي صاع دقيق أو زق خمر فترى انهُ من اللازم ان ننسحب • فقلت ولكنهُ يوجد كثير من الحنطة والخمر في لسبون • فقال وهل ظننت ان الجيش كلهُ نظير فرقتك يستطيع العبور ذهاباً وايابا بدون خوف المعارضة فلو كان المارشال سولت هنا بالثلاثين الفاً لنظرنا في ذلك •••• والآن لنعد الى حديثنا فقد استدعيتك يا جيرار لامر خطير نويت ان افوض اليك القيام بهِ • فابرقت أسرتي لدى سماع ذلك • ثم أخذ خريطة بسطها امامي وجعل يدلني على الامكنة المرسومة عليها فقال هذه سانتاريم وعلى مسافة خمسة وعشرين ميلاً الى الشرق منها بلدة المايكسال المشهورة بنضارة مزروعاتها وخصب كرومها وخصوصاً الدير الكبير المبني هناك وفيها الآن المارشال ميلغلار وهو انكليزي الاصل ومن أسرة شريفة • فالذي اريدهُ منك الآن هو ان تذهب الى هذا المارشال وتشنقهُ على اقرب شجرة تصل اليها • فقلت السمع والطاعة ثم حولت ظهري ومشيت • فقال لي الى أين قلت لانفذ امرك يا مولاي • فتبسم وقال مهلاً الى ان اطلعك على التفاصيل قبل مسيرك • فاعلم ان المارشال ميلغلار رجل شجاع لا يهاب الموت وقد كان ضابطاً في الحرس الانكليزي ولهُ ولع بالمقامرة فطردوهُ من الخدمة بسبب غشٍّ حاولهُ وتمكن من جمع بعض الجنود الآبقين فتحصن بهم في الجبال ثم انضم تحت لوآئهِ عدد من فُرّاغ الفرنسويين وقطاع الطرق من البرتوغال حتى صار اميراً على اكثر من خمس مئة مقاتل فهجم بهم على دير المايكسال فامتلكهُ وطرد الرهبان منهُ وحصَّنهُ • واتفق في الاسبوع الغابر ان الكنتة لاروندا اشهر مثريات اسبانيا مرت من تلك الناحية فأسرها رجال المارشال وسجنوها في الدير وهددوها بالقتل ان لم تفدِ نفسها بمبلغ عظيم من المال • وقد استدعيتك لتقوم بثلاث مهمات وهي ان

تخلص تلك السيدة وان تعاقب ذلك الغادر وان تشتت شمل عصابتهِ • واعلم ان ثقتي بهمتك تحملني على ان لا أسمح لك باكثر من نصف فرقة لترافقك في اتمام هذا العمل لانهُ لا يمكنني اعطآؤك اكثر وقد بدأت بالتقهقر وانت لا تجهل مقدرة ولتون ورجالهِ ومتى فرغت من مهمتك فقابلني مسآء غدٍ في أبرانت حيث اكون في انتظارك

ولا تسألوا عن سروري بهذه المهمة مع علمي بما فيها من المشقة لانني كلفت انقاذ الكنتة ومعاقبة الانكليزي بالشنق وتفريق رجالهِ الخمس مئة وذلك جميعهُ بمساعدة خمسين رجلاً غير ان هؤلآء الخمسين كانوا من الهوسار وقائدهم جيرار • فللحال ذهبت بنفسي فاخترت الرجال واكثرهم من الذين حضروا معارك الحرب الالمانية وعليهم آثار المواقع التي خاضوا غمارها ولم أرَهم سائرين ورآئي وتحت قيادتي حتى شعرت ان قلبي يرقص طرباً

وكان من الحكمة ان لا نعرّض انفسنا للجيوش الانكليزية التي بثت العيون والارصاد في جميع النواحي فسرت بفرقتي القليلة في طرقٍ غير مألوفة بين وهاد وحقول مزروعة ونحن بلا دليل يقودنا أو وجود احد نستفهم منهُ حتى ادركنا المغيب في وسط وادٍ قد كست جوانبهُ اشجار السنديان • وبينما نحن نتسلل بين الاغصان اسرع اليَّ أحد الجنود وقال لي انهُ رأى فرقةً من فرسان الانكليز الى جانبٍ منا فأهمَّني الامر ونظرت الى حيث أشار فرأيت فرقةً لا يزيد عدد رجالها عن عددنا ورأيت أنها تسير مثلنا الى جهة مخصوصة وعرفت من اول نظرة مقدار قوتها فوقعت بين امرين اما ان نعارضهم وقد تحققت الفوز عليهم او ان ندعهم وشأنهم لانفاذ مهمتنا التي كانت تُلزمني ان احافظ على جميع رجالي فلا افقد واحداً منهم • فأمرت فرساني بالوقوف واسندت يدي على سرج الجواد وجعلت استشير نفسي واذا بفارس انكليزي قد ظهر امامي ولما رآني صاح برفاقهِ فتبعوهُ ووقفوا امامنا صفًّا مستطيلاً وللحال أشرت الى رجالي فأقمتهم صفًّا يقابل ذاك وبين الصفين نحو مئتي يرد • ولما وقفنا بعضنا امام بعض وأنا افكر في ما ذا يجب ان افعل اذا بضابط الفرقة

الانكليزية قد استلّ سيفهُ وتقدم نحوي كانهُ يدعوني الى المبارزة . فأُعجبت بشبابهِ وبجلوسهِ على صهوة جواده حتى كدت أنسى كل ما أنا فيهِ وأنا اتامل محاسنهُ . ولكن اتيان جيرار لن يكون متأخراً عن واجباتهِ بل ان جوادي ايضاً يعرف صفاتي فلم يطق ان يرى الضابط الانكليزي يتقدم وانا واقف في مكاني فتقدم نحوهُ وبذلك نبهني الى انهُ يجب عليّ ان لا ابقى متأخراً

ولما كانت ذاكرتي اسرع من البرق كما علمتم مما رويتهُ لكم فلما اقتربت من الضابط الانكليزي تحققت انني قابلتهُ قبل تلك المرة وللحال عرفت انهُ هو نفس الضابط الذي أنقذني من قطاع الطرق الاسبانيول والذي لعبت معهُ بالورق قبل اسري وأخذي الى سجن دارتمور وانهُ هو نفسهُ المسمى السير رسل بارت فصحت بهِ أهلاً بك ايها العزيز بارت . وكان قد استلّ سيفهُ وعزم على منازلتي فلما سمع كلامي وعرفني حنى سيفهُ مسلماً وصاح بتبسم مرحباً بك ايها الصديق جيرار فقد ظننت اننا امام اعداء لا بدّ لنا من مقاتلتهم ولكنني ارى انني امام صديق قديم لا استطيع ان اقاومهُ . اما أنا فسرني ان الاقي صديقي القديم ولكنني لم اخلُ من استياء لانني كنت اوثر ان أُري الانكليز نصال سيوفنا فقلت لهُ انهُ ليسرّني ايضاً ان اراك ولكنهُ يسوءني انني لا أستطيع تجريد سيفي في وجه رجل انقذني من الموت . وكان جوادانا قد تقاربا فصافحني وقال اننا تقابلنا قبل هذه المرة وكنت انت تمدح رجالك ومقدرتهم واراني الآن امامك برجالي وقوتنا متعادلة فما قولك اذا جرّبنا جنودنا ليقنع بعضنا بعضاً بالبرهان . قلت لا أَحَبَّ اليَّ من ذلك فقد رأينا مقدَّم فرقتك وسأُري جنودي مؤخرها . فقهقه ضاحكاً وقال لا بأس فاذا غلبنا كم كان ذلك تأييداً لمعتقدي واذا غلبتمونا كان لكم ما تريدون وكان السعد مرافقاً لنجم المارشال ميلغلار . فلما سمعت هذا الاسم اعترتني هزة فقلت لهُ وما مرادك من ذكر هذا الاسم . قال انهُ اسم متشرد يقطن هذه الجهات وقد ارسلنا الجنرال ولتون لالقاء القبض عليهِ وشنقهِ بدون توقف . فقلت وقد بان الاستغراب على وجهي ان المارشال ماسينا قد وجهنا لهذه الغاية عينها وتلا كلامي ضحك كلينا ثم اغماد سيوفنا

وللحال احتذت الفرقتان مثالنا فأغمدت الجنود سيوفها وكان لها صليل مطرب • ثم قال لي اذاً نحن متحالفون قلت نعم ولكن ليومٍ واحد • قال لا بأس فلنضمّ قوتنا معاً وهكذا تحوّل عزمنا عن مهاجمة بعضنا بعضاً الى جمع الفرقتين وقيادتهما لقضآء المهمة التي حكم الاتفاق ان تكون واحدة • وبعد كلام قليل أصدرنا اوامرنا فسرت مع الضابط في المقدمة جنباً الى جنب وسارت جنودنا صفين متحاذيين ولم يفقه أحد منهم ما دار بيننا من الحديث ولكنهم كانوا ينظرون بعضهم الى بعض نظرات الحقد والازدرآء • ولم يهمني كل ذلك فجعلت أقص على رصيفي ما جرى لي بعد اسري وارسالي الى سجن دارتمور وكيفية نجاتي ثم قص عليّ كيف حوكم على اطلاقهِ سراحي وقت لعبنا بالورق وكيف حكم المجلس العسكري عليهِ بسبب الاهمال • ولم نزل سائرين نتبادل الحديث الى ان بلغنا وادياً فسيحاً فوقفنا للاستراحة وظهرت امامنا قرية صغيرة فيها بناية عظيمة عرفناها للحال انها دير المايكسال الذي نقصدهُ • ولما ظهرت لنا مناعة ذلك الدير وحالة تحصينهِ علمنا ان لدينا مهمة خطيرة جدًّا لم يكن الفرسان الذين معنا ليقوموا باتمامها فقال لي صديقي لو رأى ولنتون وماسينا ما نرى نحن الآن لاصدرا اوامر غير التي اصدراها في ارسالنا • قلت لا بأس ايهاالصديق واذا كان القائدان قد اخطأا في تدبير ما يلزم فانرِهما بفعلنا اننا نتمكن من اصلاح خطأهما • وبعد هنيهة قال لي انك اقدم مني في الجندية وبما أن غرضنا واحد فانني افوّض اليك التدبير والقيادة • قلت مهما كان عملنا فيجب ان نفعلهُ في الحال لانني مضطرّ ان اكون غداً مع فرقتي في ابرانت حيث ينتظرني ماسينا وجيشهُ • ولما قلت ذلك حانت مني التفاتة فرأيت على مقربةٍ منا بيتاً اشبه بفندقٍ وعلى بابهِ صاحبهُ وراهب يحادثهُ بحدّة • فتقدمنا الى جهتهما ولما نظرانا اسرع صاحب الفندق بالخروج يريد الهرب ورآهُ احد الجنود الانكليز فتبعهُ وقبض عليهِ • ولما صار أمامنا قال لنا بتذللٍ ارحماني يا سيديَّ فقد مرَّت عليَّ جنود الانكليز والفرنسويين فلم يبقَ في فندقي طعام ولا شراب بل نهبوا كل شيء عندي وقد جآءني هذا الراهب يطلب قوتاً فلم يجد • وقبل ان يتم كلامهُ تقدم الراهب ايضاً وقال لقد صدق صاحب

الفندق في قولهِ فانهُ أصبح لا يملك شيئاً كما اختبرت انا ذلك بنفسي فلا خوف من اطلاق سراحهِ لانهُ لو أراد الهرب لما استطاع

أما انا فكنت اسمع الحديث وقد وجهت نظري الى الراهب افحص هيئتهُ بنظري الحاد فوجدتهُ رجلاً اسمر اللون شديد العضل ذا لحيةٍ سوداء كثيفة طويل القامة حسن التركيب تلوح على وجههِ ملامح السلطة والعظمة • فقلت لصاحب الفندق لا تخف يا هذا اما انت يا أبتِ فاظنك الوحيد الذي يمكنك ان تطلعنا على ما نريد معرفتهُ • قال انني رهين امركم ولكنني اكاد اموت من الجوع فهل لديكم ما يرد اليَّ رمقي • فقدَّمت لهُ بعض ما حملتهُ جنودي من الزاد فالتهمهُ بشرهٍ ثم قلت لهُ يهمنا معرفة احوال دير المايكسال وقوة المتشردين الذين تحصنوا فيهِ • فلما سمع كلامي رفع يديهِ الى العلاء وتمتم باللغة اللاتينية ثم قال لم اكن اظن ان صلاتي تستجاب بسرعةٍ كهذه فانا رئيس الدير الذي تطلبونهُ وانا الشقي المطرود من ديرهِ بل رئيس تلك الكنيسة التي جعلها المارشال ميلغلار مأوًى للصوص • ولم قال هذا جعل ينتحب وسالت دموعهُ على خديهِ حتى رثى لهُ صديقي فجعل يلاطفهُ ويعدهُ انهُ سيعيد اليهِ ديرهُ ورئاستهُ قبل بزوغ الصباح • فقال الراهب انهُ لا يهمني نفعي الشخصي ولا منفعة الرهبان اخواني بل يسوءني ان يبتذل هذا المكان المقدس وان تصبح كل الشعائر الدينية الموجودة فيهِ هزءًا وسخريةً للمارشال ميلغلار ورجالهِ • فقال لهُ صديقي لا تخف ولا تحزن بل أرِنا كيفية الدخول الى الدير ونحن نواثقك على رد كل شيء الى ما كان عليهِ • ولما تحقق الراهب غرضنا جعل يطلعنا على ما يهمنا معرفتهُ وأخبرنا أن سور الدير يزيد عن الاربعين قدماً في الارتفاع وان نوافذهُ محصنة بالقضبان الحديدية تتخللها بنادق اللصوص لصدّ هجوم العدو وهم يتناوبون الحراسة بتمام الدقة والترتيب ويساعدهم في ذلك وفرة عددهم حتى انهُ يستحيل ان يبغتهم أحد قبل ان يعلموا بهِ

وكانت فرساننا في هذه الاثناء قد نزلت عن جيادها للاستراحة فدخلت بالراهب وصديقي الانكليزي الى احدى غرف الفندق لنبحث في الامر وكان في

جيبي زجاجة من الكنياك قسمتها بيننا لتنشيط صديقي ثم قلت لهما لا شك ان رجال المارشال لا يعلمون شيئاً من قدومنا وغايتنا فأرى الاحزم ان نختفي في احدى جهات الغابة حتى اذا فتحوا ابواب الدير هجمنا عليهم وهم غير مستعدين فننال غايتنا • فوافقني الضابط على هذا الرأي واما الراهب فقال انني اخالف رأيكما لانهُ لا يوجد مخبأ لا في جهة البلدة فلا يؤمن اذا رآكم احد اهلها ان يبلغ المارشال الخبر فيذهب سعيكم سدًى • فقلت ولكنني لا ارى لنا غير هذه الطريقة لان عددنا اقل مما يكفي لمهاجمة سور الدير فضلاً عن عدم وجود المدافع معنا • فقال الراهب انني وان كنت من رجال السلام فانني انصح لكما بما يساعدكما على نيل المقصود فاعلما انهُ يأتي كل يوم الى الدير عدد من رجال الانكليز والفرنسويين ويطلبون الانضمام تحت راية المارشال فأرى الافضل ان تدَّعيا انكما آتيان بمن معكما لمثل هذه الغاية ومتى قلتما انكما آتيان من معسكركما للانضمام اليهِ فلا يتأخر عن ادخالكما ومتى صرتما مع رجالكما داخل جدران الدير فدبرا ما تروم انهِ • ولما سمعت هذا الرأي لم ألبث ان استصوبتهُ غير ان الراهب اردف ذلك بقولهِ لا يخفى ان المارشال ميلغلار رجلٌ ذكي جدًّا متوقد الخاطر فقد لا تجوز عليهِ هذه الحيلة اذا رأى فرقة انكليزية بتمامها وفرقة فرنسوية بتمامها آتيتين اليهِ وقد يريبهُ امركم • قلت اصبت يا أبتِ فالاحوَط اذاً ان يدخل نصفنا اولاً فينامون ليلتهم وفي الصباح يفتحون ابواب الدير لدخول الخمسين الآخرين • وصادف رأيي استحسان الراهب والضابط فجلسنا نتباحث فيهِ بتأنٍّ وتدبر حتى لو كان ولتتون وماسينا معنا لما تمكنا من التصميم على احسن مما قررناهُ نحن • ثم نظر اليَّ الراهب وقال اذا القيتم القبض على هذا الخبيث ميلغلار فماذا تفعلون بهِ • قلت قد حكمنا عليهِ بالشنق ولا بد من تنفيذ الحكم • قال ان الشنق قليل عليهِ فلو خُيِّرت انا في اهلاكهِ لاخترت لهُ ... ولكن لا يليق بكاهن نظيري ان ينتقم • ولما قال هذا وضع يدهُ على جبهتهِ كأنهُ يسكّن اضطراب افكارهِ ثم خرج من الغرفة • ولما خلوت بالضابط الانكليزي جعلنا نبحث في من منا يدخل الدير كما قررنا ومن ينتظر خارجاً • ولا يغرب عن

بالكم ان جيرار لم يكن ليسمح لاحد بالتقدم عليهِ في المواقف الخطرة غير ان رصيفي لبث يتوسل اليَّ ويستحلفني بكل عزيز وكريم ان اسمح لهُ حتى اضطررت الى اجابة طلبهِ فصافحتهُ علامة الرضى والموافقة . وللحال سمعنا ضجةً في الخارج وصراخاً وحركة مما جعلنا نظن ان رجال المارشال قد اطبقت علينا فخرجنا فرأينا نحو عشرين من فرسان الانكايز ونظيرهم من الهوسار قد هجموا بعضهم على بعض ودارت بينهم الملاكمة والمخاصمة بشدة . فأسرعنا الى تفريقهم بالحسنى فلم تجدِ توسلاتنا وملاطفتنا شيئاً ولم نتمكن من كفهم الا بعد ان جردنا سيوفنا وسرنا بين صفوفهم . ورأيت الراهب واقفاً على باب الفندق يرسم علامة الصليب ويتمتم بكلمات الصلاة ويطلب مساعدة القديسين . وعلمنا بعد الفحص ان الراهب نفسهُ كان سبب العراك فانهُ لما تركنا في الغرفة خرج الى الفرسان فرأى ضابطاً انكليزيًّا فقال لهُ يا ليت لكم مثل شجاعة الفرنسويين . ورأى الضابط فارساً فرنسويًّا بجانبهِ فلكمهُ ليري الراهب شجاعتهُ وللحال اطبقت الفرسان بعضها على بعض كما مرَّ . ورأيت من وجوه الفرسان انهم لايزالون يودّون الرجوع الى العراك فأحببت ان الهيهم عن ذلك وقلت لصديقي ارى الافضل ان نسير لاتمام ما قصدنا ان نفعلهُ . فاقترب من رجالهِ واطلعهم على ما دبرناهُ فأظهروا السرور ثم سار امامهم وتبعوهُ بدون نظام ليدخلوا الدير كأنهم بالحقيقة هاربون من المعسكر . فودعناهم راجين لهم الخير ومنتظرين ان يفتحوا لنا ابواب الدير في صباح اليوم الثاني ولم نزل نتبعهم بانظارنا حتى بلغوا الدير فوقفوا ريثما تمت الاستعلامات اللازمة ثم دخلوا وحجبهم السور عن نظرنا

وكان الليل حالك السواد والمطر يتدفق بغزارة فسرني ذلك لانهُ يساعد على اختفآئنا ثم فرّقت الفرسان حولنا للحراسة ودخلت الفندق فرأيت فيهِ فراشاً توسدتهُ ونمت . ولا انكر ايها الاصدقآء انني كما اشهد لنفسي بالشجاعة التي لا تماثل وعدم المبالاة بالاخطار يجب ان اعترف ايضاً بما ينقصني مما لا بد منهُ لمن كان مثلي وهو النوم الخفيف فانني كنت اذا نمت يصعب ايقاظي . وهذه النقيصة كانت سبباً لدخول المكيدة عليَّ في تلك الليلة فانني بعد ان نمت آمناً افقت نحو الساعة

الثانية بعد منتصف الليل على رائحة غريبة كادت تخنقني وحاولت ان اصيح فلم استطع ثم حاولت الوقوف فلم اتمكن لاني وجدت يديَّ ورجليَّ مربوطة رباطاً متيناً اما عيناي فكانتا مطلقتي السراح فنظرت الى جوانب الغرفة فازددت استغراباً ودهشةً لاني رأيت امامي صاحب الفندق والراهب • وكنت قد رأيت صاحب الفندق بالامس فكانت هيئتهُ تدل على الجبن والبله اما الآن فوجدتهُ عنوان الشراسة ومثال الانتقام وقد اخذ بيدهِ خنجراً يلوح الموت على حدّهِ •اما الراهب فكان لا يزال كما كان غير ان ثوبهُ قد فتح من الامام وبان تحتهُ لباس الضباط الانكليز • ولما وقعت عيني عليهِ اتكأ على سريري وهو يتبسم وقال اعذرني يا حضرة الكولونيل جيرار اذا تبسمت فان هيئتك الآن تضحك الثكلى ومع اني اشهد لك بالجرأة والاقدام فانك لا تزال بعيداً عن مساواة خادمك الحقير الذي يكلمك الآن والذي يسمونهُ المارشال ميلغلار • ولو وجدت نفسي تلك الساعة في الجحيم وملائكة الشر تكلمني لما تعجبت ودهشت كما حصل لي عند سماعي تلك الكلمات فلبثت صامتاً اتفرس فيهِ . ثم تقدم صاحب الفندق فهمس في اذنهِ شيئاً فقال لهُ لا ايها العزيز فان حياتهُ تنفعني اكثر من قتلهِ . ثم نظر اليَّ وقال اشكر الهك يا جيرار على نومك الثقيل لانك لو افقت حين كان صديقي هذا يقيدك لكنت الآن في عالم الاموات وانصح لك الآن ان لا تحاول التملص منهُ او الاستنجاد عليهِ لانهُ ليس اقل خطراً مني • ولا تتعجب اذا قلت لك انك منذ سرت من معسكرك وسارت الفرقة الانكليزية من معسكرها عرفنا بكم وراقبنا حركاتكم واحضرنا جميع الاستعدادات في الدير لملاقاتكم . ولكننا كنا نود وصولكم جميعاً الى الدير لا وصول نصفكم فقط لان من يدخل باب الدير يرى نفسهُ في عرصة تحيط بها نوافذ وفيها النادق المصوبة فاما الخضوع والتسليم او الهلاك المحتوم . ولكي اريك تدابيرنا بعين الحقيقة سنأخذك معنا الى الدير ونريك ذلك عياناً وتقابل هناك صديقك الانكليزي ايضاً . ولما قال هذا امر صاحبهُ ان يعتني بحراستي ليذهب ويرى الاستعدادات الاخرى . واتى صاحب الفندق فجلس على حافة السرير وخنجرهُ بيدهِ ليزيد

عذابي فكدت اجن من الغيظ ولمت نفسي كثيراً ثم خطر لي انهم سيأخذوني اسيراً الى الدير فأي اهانة بعد هذه وجربت ان امتحن قوة وثاقي فوجدتهُ متيناً يدل على براعة الفاعل فعمدت الى السكوت . و بعد قليل سمعت وقع اقدام فظننت ان الراهب قد عاد ولكنني ما عتمت ان رأيت في باب الغرفة احد فرساني واسمهُ بابيليت . ولا ازيدكم علماً ان جميع فرساني قد تعلموا مني ان يكتموا بلحظة واحدة ورأى بابيليت حال دخولهِ ما انا فيهِ فسمعتهُ يشتم ثم استل سيفهُ وهجم على صاحب الفندق . وحاول هذا ان يقابلهُ بخنجرهِ ولكنهُ خطر لهُ فكرٌ آخر فعاد اليَّ ولما صار بقربي رفع يدهُ بالخنجر وضربني بمنتهى قوتهِ وكنت قد قرأت ذلك في عينيهِ فجمعت قوايَ وقبل ان تصل ضربتهُ كنت قد انقلبت عن السرير الى الارض فمرّ خنجرهُ حذآء خاصرتي ودخل في الفراش الى الخشب . وقبل ان يرفع يدهُ ثانيةً كان قد اصبح شطرين تحت سيف بابيليت الذي كان امهر الفرسان في ضرب الحسام وفي أقل من لمح البصر فك وثاقي فلم اصدق ان وقفت امامهُ مطلقاً حتى ضممتهُ الى صدري وقبلتهُ

وكانت التقادير قد قادت بابيليت الى نجاتي وكان لا يعلم شيئاً من امر الكاهن وصاحبهِ وانما جآء ليوقظني ويتلقى أوامري فرآني في تلك الحال وقد اخبرتهُ بالاختصار بما جرى . واننا لكذلك واذا بوقع أقدام اخرى عرفت للحال انها أقدام المارشال ميلغلار وقبل أن اتكلم عرف بابيليت فكري فاختفى ورآء الباب فأشرت اليهِ ان لا يؤذي المارشال ثم عدت ونمت على سريري ولم اكد افعل حتى فتح الباب وظهر ردآء الراهب ولكنهُ لم تطأ قدماهُ ارض الغرفة حتى وثبنا اليهِ فأظهر منتهى القوة الجسدية حتى كاد يتملص منا لو لم يقترب منهُ بابيليت بحسامهِ ورأى ان لا فائدة للمقاومة فأذعن لنا فأوثقناهُ بنفس الوثاق الذي كنت مقيداً بهِ . أما هو فتبسم وقال لا بأس فقد ساعدكما الحظ وقتلنا صاحب الفندق رحمهُ الله فأرجو منكما ان تلقياني على السرير لانني لم أعتد توسد الارض فرفعناهُ حسب طلبهِ ثم أنفذت بابيليت لاستدعآء الفرسان و بقيت احرسهُ وحدي . فقال لي هل تكفل ان يعاملني رجالك

معاملة لطيفة • قلت كن براحة يا هذا فاني اعرف قيمة أمثالك • و بعد قليل دخل علينا بعض الفرسان ففوضت اليهم حراستهُ وجعلت افكر فيما يجب ان افعلهُ لانني أنفذت القسم الاول من واجباتي بالقآء القبض على المارشال وقد بقي عليَّ انقاذ الفرسان الانكليز الذين شاركونا في العمل وتخليص الكنتة لاروندا وتشتيت شمل عصابة الدير • ثم وضعت أسيري على ظهر جواد وجمعت فرساني وسرت بهم الى السهل المحيط بالدير حتى صرنا على مقربة منهُ وكانت هناك شجرة كبيرة وقفنا تحتها ورآنا حرس الدير فأنذروا الحامية فاجتمعوا على السور ينظرون الينا بازدرآء • أما انا فقدت جواد الاسير الى الامام ولما رأوهُ تغيرت هيئتهم وارتفع بينهم صراخ اليأس والحزن والانتقام والتهديد مما دلني على شدة محبتهم لهُ واعظامهم لمقامهِ • وكنت قد احضرت معي حبلاً فأخذهُ بابيليت وعلقهُ في غصن من اغصان الشجرة ثم قال للمارشال اسمح لي يا سيدي ان انزع عن عنقك هذا اللباس الثقيل • فتبسم ميلغلار وقال دونك وما تريد • وما وضع الحبل حول عنقهِ حتى ارتفع صراخ شديد من سور الدير ثم فُتح بابهُ وتقدم الينا ثلاثة فرسان يحملون رايات بيضاً علامة السلم فأشرنا اليهم بالتقدم • ولما اقتربوا حيونا بكل احترام ثم بدأ احدهم بالكلام فقال يوجد عندنا سبعة وثلاثون فارساً انكليزيًّا اسرناهم بالامس فاذا شنقتم مارشالنا ترون اولئك معلقين جميعهم حول السور • فقلت لهُ انهم واحد وخمسون فارساً • قال كانوا حين دخلوا ولكنهم قاومونا فاضطررنا الى اطلاق بنادقنا فقتلنا منهم اربعة عشر • قلت وضابطهم • قال لم يسلم سيفهُ الا بعد ان صار جثةً باردة ولسنا بملومين لاننا كنا نودّ ان نستبقيهُ • فحزنت على فقد هذا الصديق الذي كنت أحبهُ حقيقةً • ثم قلت لهم واذا أطلقت سراح مارشالكم فماذا تعطوني • قال نعطيك عشرةً من الفرسان • قلت لا يكفي • قال عشرين • قلت لا • قال جميعهم بخيولهم واسلحتهم • قلت ومعهم الكنتة لاروندا • قال هذا من المحال • فنظرت الى بابيليت وقلت لهُ اذاً لا بدّ من انفاذ حكمنا • فهمّ بشد الحبل على عنق المارشال واذ ذاك تكلم المارشال فقال ان اصحابي سلموا بكل

شروطكم اما في أمر الكنتة فلا وبما انكم اختلفتم على هذا الامر فقط أفلا يكون الافضل ان تسألوا الكنتة نفسها هل تودّ الخروج لانهُ لا أنتم ولا نحن نريد حجز حريتها. فسرّني جدًّا هذا الاقتراح وامرت الرجال ان يرجعوا الى الدير ويحضروها وبعد قليل رجعوا وهي معهم فاستقبلها المارشال بتبسم وقال ان حضرة الضابط يرغب في أخذكِ الى حيث لا تعودين ترينا البتة فهل تؤثرين الذهاب معهُ أو البقآء هنا. وكانت قد اقتربت اليهِ فوضعت يديها حول عنقهِ وقالت كلا كلا ايها الحبيب فلن أفارقك ابداً. فنظر اليَّ بتبسم وقال هل سمعت من فيها يا عزيزي الكولونيل جيرار والآن فأذَن لي ان اعلمك بانك قد غلطت في تسميتها الكنتة لاروندا لانها قد صارت زوجتي وان شئت فهي المارشالة ميلغلار

فوقفت عند ذلك مبهوتاً ولا سيما عند ما رأيت تلك السيدة وقد شخصت عيناها الى وجههِ فلم يسعني الشك فيما رأيت ولكنني ازدريت بها على فعلها . فقلت حسنٌ فاسمحوا لي اذاً بالفرسان الانكليز فدآء لمارشالكم وأنا اذهب . فعاد الفرسان الثلاثة الى الدير وغابوا ريثما اخبروا الاسرى ثم احضروهم بجيادهم واسلحتهم الينا . فنزعنا الحبل عن عنق المارشال فتقدم اليَّ وقد مد يدهُ وقال لي استودعك الله يا حضرة الكولونيل ولا اشك انك لم تسرّ بمهمتك هذه المرة ولكنني اكلفك ان تخبر المارشال ماسينا من قبلي انك اشجع واقدر من رأيت . والآن فهل يمكنني ان اخدمك بشيء . قلت لي طلبة ارجو ان تعدني بها وهي ان تدفن الضابط الانكليزي كما يليق بالشرفآء . قال اعدك بشرفي ان افعل . قلت وطلبة أخرى وهي أن تبارزني مقدار خمس دقائق فقط . فقهقه ضاحكاً وقال لا فاني ربما أقتلك فأحرمك التقدم وأنت في اول ميدان الحياة أو تقتلني فتحرمني ملذات زواجي لانني لم أتمّ شهر العسل بعد . فسرتُ برجالي محيياً وقد استلت سيفي في وجههِ وقلت لا بد ان نلتقي فيما بعد ولي الامل انك لا تنجو مني في المرة الثانية

فقال الى الملتقى ايها العزيز واذا سئمت نفسك يوماً ما من خدمة امبراطورك فتيقن انهُ يكون لك في جيش المارشال ميلغلار المقام الاول